

بعد بداية العام ١٩٦٨، إلى موقف دفاعي وجامد على الصعيد العسكري، حيث أخفت الإحصاءات والبيانات المضخمة حقيقة أن النسبة الساحقة من العمليات، في ١٩٦٩ و١٩٧٠، لم تتعدَّ إطلاق النار عبر نهر الأردن أو الاشتباك مع الكمائن الامامية الاسرائيلية. وجاءت أحداث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ في الأردن، والخروج النهائي في تموز (يوليو) ١٩٧١، لتعزز المأزق السياسي والعسكري والفكري لحركة المقاومة الذي تمثل بالعجز عن الخروج بالردود الناجعة على العوائق والنكسات. ومرّت حركة المقاومة بسنتين عجافين بعد الخروج من الأردن، شهدت خلالها اضمحلال التأييد الشعبي وتقلص حجم القوات نتيجة لفقدان وجهة السير السياسية. فلاقته م.ت.ف. نفسها في داخل حلقة مفرغة: فقد أدى قصر نظرها السياسي، وضعف منهجها الذي عجز عن تهيئة الأدوات حتى في غياب الرؤية السياسية، إلى تشجيع الاعضاء والكوادر على هجرتها، مما زاد من شعور القيادة بالوهن ودفّعها نحو الاتكال على مصادر قوة بديلة. وقد ظهر مصدر قوة مفرّغ عقب حرب ١٩٧٣، حين بدأ أن الدخول في اللعبة الاقليمية، من خلال الاتفاق مع النظام الأقليمي العربي، يُلغي الحاجة إلى بناء القوة الذاتية، العسكرية والتنظيمية وال جماهيرية، ويؤدي إلى تحقيق بعض المكاسب شريطة أن تكتفي م.ت.ف. بأهداف متواضعة. وهكذا، فقد اكتفت م.ت.ف.، منذ ذلك الوقت، بالسعي وراء أهداف مرحلية دون أن تحدد الاهداف العليا بعيدة المدى. إلا أن صعوبة تحقيق حتى الاهداف المرحلية، بسبب عدم انقلاب موازين القوى ضد اسرائيل، كانت تعني أن تلك الاهداف لم تكن واقعية بمعيّار قابليتها للتحقيق وبمعيّار ملائمة الاداة العسكرية الفلسطينية لها. فساد الغموض بين الاعضاء وال جماهير الواسعة، على حد سواء، حول طبيعة الهدف المرحلي الذي كانوا يقاتلون من أجله، فهل تمثل بانعقاد مؤتمر جنيف أو التفاوض مع اسرائيل أو التحالف مع الأردن أم سوريا؟ وهل اقتضى وقف إطلاق النار أم شن الحرب عبر جميع الجبهات أم الاكتفاء بعمل الارض المحتلة؟ وهل شكّل العمل العسكري أولوية أم كان المطلوب، فقط، التواجد وإظهار الذات؟ وأدى غياب الاستراتيجية الشاملة بالمقاتل إلى عدم تطوير قدراته وتكتيكاته لأنه لم يُعد يعرف ما هو المطلوب منه، فهل يتدرب على قيادة الدبابات لمواجهة تنظيم محلي ما في صيدا أو صور أو جبل لبنان، أم يتدرب على القتال الغواري لمجابهة الجيش الاسرائيلي؟ وهل يحتشد ضمن تشكيلات كبيرة تلتفت انتباه المراقبين العالمين أم ينتشر في مجموعات صغيرة ليتجنب الطائرات الاسرائيلية؟

انعكس غياب الاستراتيجية الشاملة بميول سلبية عدة لدى القيادة الفلسطينية. وتمثل أحدها في السعي المستمر وراء تحقيق المكاسب السريعة، وخاصة الاعلامية منها، بدلاً من العمل التنظيمي وال جماهيري الدؤوب المثابر الذي يخلق، وحده، أساس التقدم السياسي، مما حدد المنهج الذي حكم التعامل مع الجانب العسكري للنضال الوطني ويفسر ضعف ملائمة الاداة للهدف. كما مالت القيادة الفلسطينية، بسبب افتقارها إلى استراتيجية بعيدة المدى تقدم المعيار وتفرض الاحتفاظ باحتياطي، نحو بذر الرصيد السياسي والمعنوي والعسكري (البشري خاصة) دون إعادة بنائه والتعويض عن المستهلك منه. أي أنه لم يتم بناء الكوادر والأطر والبدائل بصورة متواصلة لضمان وجود الموارد البشرية اللازمة عند الحاجة، كما كانت تفعل «فتح» قبل العام ١٩٦٥، بل تم استنفاد المخزون البشري والمعنوي تبعاً كلما تطلبت الظروف. وربما ساهمت معركة الكرامة، في آذار (مارس) ١٩٦٨، في خلق حالة من